مقدمة هامة

وتشتمل على :

- تعريفات :
- منزلة الحديث من الدين وأهميته .
- محاربة السنة وأسبابها .
- وضع الأحاديث المكذوبة وأسبابه .
- جهود علماء المسلمين لحفظ الحديث .
- درجات الحديث .

obeikandl.com

obeikandl.com

(أ) تعريفات

١ ـ **السنة** : هى أقوال النبى ﷺ وأفعاله وموافقته أو رفضه لعمل ما . وهى المنهاج الذى لا غنى عنه لأى مسلم فى فهم أحكام الإسلام ، والحديث أساس السنة .

٢ ـ **علوم الحديث** : وهى تشمل كل ما يتصل بدراسة الحديث النبوى من تحقيق للأخبار والرجال وتحقيق للتواريخ والوقائع ومعرفة لدرجات الحديث وما دخل على بعضه من وضع أو تحريف ، وهو علم كبير يزيد عن ستين باباً .

٣ ـ **مصطلح الحديث** : يبحث فى تقسيم الخبر إلى صحيح وحسن وضعيف وتقسيم كل هذه إلى أنواع ، ثم بيان الشروط المطلوبة فى الراوى والمروى والعلل والشذوذ وكيفية السماع والضبط ، وآفات المحدث وطالب الحديث .

٤ ـ **الجرح والتعديل** : أو علم ميزان الرجال . وهو علم يبحث فى أحوال الرواة وأمانتهم ، وضبطهم وعدالتهم ، وغير ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان .

٥ ـ **الحديث النبوى** : وهو كل ما نقل إلينا صحيحاً من قول النبى محمد ﷺ .

٦ ـ **الحديث القدسى** : هو نوع من الحديث الذى قاله النبى ﷺ مع إسناده له عن ربه عز وجل أى أن لفظه من كلام الرسول ، ومعناه من عند الله بالإلهام . كقوله : « يقول الله عز وجل: يا عبادى ؛ إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرّمًا فلا تظالموا » .

obeikandl.com

٧ - **فن الرواية :** هو فن قبول الحديث وتبليغه للناس .

٨ - **العنعنة :** هى قول الراوى حدثنا فلان عن فلان عن فلان .

٩ - **المتن :** هو ألفاظ الحديث نفسها دون ما يحيط بها من مقدمات أو تعليقات .

١٠- **السند :** هو سلسلة الرواة الذين جاء تبليغ الحديث عن طريقهم .

١١- **أخرجه:** أى أثبته المحدث فى كتابه بإسناده .

١٢- **رواه :** أى أورد الرواية ؛ سواء كانت بالتحديث أو بتسجيلها فى كتابه ؛ (إذن فالمخرّج هو راو أيضاً ؛ وليس كل راو مخرّجًا) .

١٣- **معلول:** فيه علة تقدح فى ثبوته .

١٤- **التدليس :** أن يروى الراوى عن آخر لم يلقه ؛ أو لقيه ولم يسمع منه بصيغة توهم السماع ، كقوله : « عن فلان » .

١٥- **تفرد به :** لم يروه غيره .

١٦- **عزاه :** نسبه .

١٧- **أظنه لا شيء** (أو ليس بشيء) هو ضعيف أو شديد الضعف ولا يصح الاحتجاج به .

١٨- **رجاله رجال الصحيح :** يعنى أن رواة هذا الحديث جاء ذكرهم فى صحيح البخارى أو صحيح مسلم مما يفيد الثقة بهم ؛ وإن كان الحديث لم يرد فى أحد الصحيحين .

١٩- **صحيح على شرط الشيخين :** لقد التزم البخارى ومسلم شروطاً معينة لكل حديث يوردانه فى الصحيح ؛ فإذا جاء محدّث بعدهما

بحديث لم يرد فى صحيحهما وربما لم يقف عليه البخارى ولا مسلم . . . فهو يقول : « إننى التزمت شروط الشيخين ؛ ولذلك أحكم بصحة الحديث » .

٢٠- **كتب الفوائد :** هى كتب تجمع الأحاديث بأسانيدها دون ترتيب، والغرض منها حفظ هذه الأحاديث من الضياع مثل كتاب « الفوائد » لتمّام الرازى .

٢١- **الأجزاء الحديثية :** هى رسائل تؤلف فى موضوع خاص ؛ يجمع فيه المؤلف كل حديث يتصل بهذا الموضوع مثل « جزء القراءة » و « جزء رفع اليدين » كلاهما للإمام البخارى . . . فقد ورد فيها ما لم يرد فى كتب السنن الأربعة فضلا عن الصحيحين .

٢٢- **حدثنا** (ورمزها « ثنا ») : تقال فى الحديث الذى يسمعه الراوى من الشيخ مباشرة .

٢٣- **أخبرنا** (ورمزها « رن ») : تقال فيما كتب به إليه .

٢٤- **أنبأنا** (ورمزها « نا ») : تقال فيما كتب به إليه أيضاً .

٢٥- **لم أقف عليه :** لم أجد له إسناداً .

٢٦- **مستور الحال :** مجهول الحال . أى لا أعرف إن كان عدلا أو مجروح العدالة .

٢٧ - **مرجوح :** مردود ؛ وهو ضد الراجح .

٢٨- **بيض له المؤلف :** أى لم يعلّق عليه . أو ترك بياضاً أمامه .

* * *

رموز كتب الحديث

المدلول	الرمز
للإمام البخارى فى صحيحه	خ
للإمام البخارى فى كتاب الأدب	خد
للإمام البخارى فى التاريخ الكبير	تخ
للإمام مسلم فى صحيحه	م
للبخارى ومسلم ، أو متفق عليه أو رواه الشيخان	ق
لأبى داود	د
للترمذى	ت
للنسائى	ن
لابن ماجه	ه
لأحمد بن حنبل	حم
لعبد الله بن أحمد بن حنبل فى مسنده	عم
للحاكم فى كتاب المستدرك	ك
لابن حبان فى صحيحه	حب
للطبرانى فى المعجم الكبير	طب
للطبرانى فى المعجم الصغير	طص
للطبرانى فى المعجم الأوسط	طس
لابن أبى شيبه	ش
للبيهقى فى كتاب شعب الإيمان	هب
للبيهقى فى السنن	هق
لعبد الرزاق فى الجامع	عب

obeikandl.com

لأبي يعلى فى مسنده	ع
للدارقطنى فى سننه	قط
للديلمى فى مسند الفردوس	فر
لأبي نعيم فى الحلية	حل
للخطيب فى التاريخ	خط
لابن عدى فى الكامل	عد
للعقيلى فى كتاب الضعفاء	عق
لسعيد بن منصور فى سننه	ص

obeikandl.com

(ب) الحديث النبوى و أهميته

لا تخفى مكانة السنة النبوية فى التشريع الإسلامى وأثرها فى الفقه الإسلامى ، منذ عصر النبى ﷺ والصحابة إلى اليوم ، مما جعل الفقه الإسلامى ثروةً تشريعية لا مثيل لها لدى الأُمم جميعها فى الماضى والحاضر .

هذا التشريع العظيم هو الذى بهر أنظار علماء القانون والفقه فى جميع أنحاء العالم ؛ ولا شك أن السنة المطهرة هى ثانية المصادر بعد القرآن الكريم وأوسعها فروعاً وأرحبها صدرا ، إذ كان كتاب الله الكريم متضمناً القواعد العامة فى التشريع والأحكام الكلية فى الغالب مما جعله خالداً خلود الحق . بيد أن السنة عنيت بشرح هذه القواعد وتفريع الجزئيات على الكليات ؛ ولا يمكن الاستغناء عنها ، فهى التفسير العملى لقول المسلم : (أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ الله) وقد حدد القرآن مكانة السنة وصاحبها بقوله تعالى «ومايَنْطِقُ عَنِ الْهَوى»(١) وقوله تعالى: « وما آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وما نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهوا ، واتَّقُوا اللهَ » (٢)

وأكد أمانة الرسول فيما ينقل عن ربه واستحالة حيدته عن ذلك بقوله تعالى: « ولو تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقاوِيلِ ۞ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِاليَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْه الْوَتِينَ ۞ فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْه حَاجِزِينَ » (٣) .

ونحن فى عصر اضطربت فيه النظم العالمية ؛ وعجزت عن إيجاد السلام والرخاء لشعوب العالم . من حيث جاءت عقيدتنا برسالة السلام وما فيها من سماحة وتلبية لحاجات الناس والعصور .

---

(١) النجم : ٣ . (٢) الحشر : ٧ . (٣) الحاقة : ٤٤ – ٤٧ .

فالذى ينكر الحديث النبوى الصحيح ينكر القرآن الكريم .
والذى لا يشهد بأن السنة الصحيحة من الله لم يشهد بأن محمداً رسول الله .

والذى يظن أنه يستطيع أن يكتفى بالقرآن عن السنة مستكبر أو منحرف ، لأن الصحابة وهم أقرب الناس عهداً برسول الله وأشدهم له حُبّاً.. وهم الذين«رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ورَضَوُا عَنْهُ »(١) ؛ كانوا يلتمسون السنة ويحتكمون إليها فى حياتهم اليومية . وقد دعانا الله تعالى إلى الأخذ عن الرسول وأكد عليه بقوله : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبكُمُ اللهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢) .

إذن فمن واجب المسلم التعرف على السنة الصحيحة .

وعندها يسهل الأخذ بما صح منها ؛ ورفض ما زُيّف عليها .

* * *

(ج) محاربة السنة

ومنذ قام الإسلام بالدعوة إلى الهدى ودين الحق قام أعداؤه بمحاربته ، ولكن لم يستطع أشد الناس دهاء وأكثرهم مكراً وعداء أن يقنع المسلمين بالانقطاع عن سنة نبيهم ﷺ ؛ لأن الدين يؤخذ دائماً عن رسول الديانة — **قوله وفعله وإقراره** — فلجأوا إلى أسلوب آخر ، هو **التشكيك فى الحديث الشريف** وإثارة الغبار حول الرواة والناقلين عنهم ؛ والطعن فى أمانتهم وصدقهم ؛ والتوسع فى تدمير هذا التراث الهائل ؛بفنون ظاهرها البحث العلمى وباطنها الإفساد والتخريب . وعلى هذا الغرض التقى **أعداء**

---

(١) المائدة : ١١٩ . (٢) آل عمران : ٣١ .

الإسلام قديماً من اليهود والزنادقة والموالى وغيرهم فى عصور الحضارة الإسلامية الزاهرة ، مع **أعداء اليوم من المستشرقين** ، وهم يهود أو مسيحيون استعماريون ومن لف لفهم من تلاميذهم المفتونين بالحضارة الغربية ، فهى سلسلة متتابعة من الجهود لم تنقطع منذ أربعة عشر قرناً ، وستظل قائمة ما دام للحق أعداء يعشى أبصارهم ضوؤه الباهر .

والذين ينخدعون بهم من المسلمين ويسيرون فى مهاجمة السنة لا يوقعهم فى الفخ الذى نصبه هؤلاء إلا أحد أربعة أمور :

١ — **إما جهلهم بحقائق التراث الإسلامى** وعدم اطلاعهم عليه من ينابيعه الصافية ، وقد ساعدت على ذلك مناهج التعليم التى بعدت بالناشئة عن هذه المصادر .

٢ — **وإما انخداعهم بما يسمونه الأسلوب العلمى** الذى يدعيه أولئك الخصوم .

٣ — **وإما رغبتهم فى الشهرة** والتظاهر بالتحرر الفكرى «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» (١)

٤ — **وإما وقوعهم تحت تأثير « أهواء» و « انحرافات »** فكرية لا يجدون مجالاً للتعبير عنها إلا بالتستر وراء أولئك المستشرقين والكاتبين.

على أن « التشيع » وحده كان مدرسة فكرية قائمة بذاتها نشأت منذ قامت الفتنة بين على ومعاوية — رضى الله عنهما — فقد أثمرت حركة التشيع طائفة من الغلاة — الذين حذر منهم الخليفة الرابع على بن أبى طالب(٢) — وجعلوا يثيرون الغبار بطريقة غير مباشرة حول صحة الكثير من الأحاديث

---

(١) الواقعة : ٨٢ .

(٢) من ذلك قوله رضى الله عنه : هلك فى محب غال ، ومبغض قال .

النبوية ، ويتسللون تحت ستار المحبة لآل البيت إلى دس مجموعة من الأقوال نسبوها للرسول الكريم أو لبعض أحفاده ، خدمة **لأهداف سياسية** لا مجال للخوض فيها الآن ، وهذا ما زاد من يقظة أهل السنة والجماعة — وهم يمثلون أربعة أخماس المسلمين — فى اتخاذ جميع الوسائل لصيانة السنة النبوية الشريفة والمحافظة على أحاديث الرسول ﷺ بصورة رائعة ، وأساليب علمية خالصة ، لم تعرف فى الضبط والدقة تدوين العلوم والمعارف طريقة تشابهها ، وسنطلعك على نماذج منها فى نهاية هذا البحث إن شاء الله .

* * *

(د) وضع الحديث وأسبابه

إن الخلافات السياسية التى ذرّ قرنها بين المسلمين فى أواخر خلافة عثمان وفى خلافة على رضى الله عنهما كانت سبباً مباشراً فى وضع الحديث ، وقد قدمنا قول من قال : إن أول من تجرأ على ذلك ، هم غلاة الشيعة ؛ فيكون العراق أول بيئة نشأ فيها الوضع ، وقد أشار إلى هذا أئمة الحديث حيث كان الزهرى يقول : « يخرج الحديث من عندنا شبراً فيرجع إلينا ذراعًا » وكان الإمام مالك يسمى العراق : (دار الضرب) أى تضرب فيها الأحاديث وتخرج إلى الناس كما تضرب الدارهم الزائفة وتخرج للتعامل . وإذا كان السبب المباشر فى وضع الحديث الخلافات السياسية، فلا شك أنه حدثت بعد ذلك أسباب أخرى كان لها أثر فى اتساع دائرة الأحاديث الموضوعة . ونستطيع أن نجمل فيما يلى معظم الأسباب التى أدت إلى الوضع فى الحديث موجزين بذلك ما استطعنا :

أولا — الخلافات السياسية :

فقد انغمست الفرق السياسية فى حمأة الكذب على رسول الله ﷺ كثرة وقلة ، فالرافضة أكثر هذه الفرق كذباً . سئل مالك عن الرافضة فقال : لا تكلمهم ولا ترو عنهم فإنهم يكذبون . . ويقول شريك ابن عبد الله القاضى ، وقد كان معروفاً بالتشيع مع الاعتدال فيه : « أحملْ عن كل ما لقيت إلا الرافضة ؛ فإنهم يضعون الحديث ويتخذونه ديناً » .

ثانياً — الزندقة :

ونعنى بها هنا كراهية الإسلام ديناً ودولة ، فقد اكتسحت دولة الإسلام عروشاً وإمارات وزعامات كانت قائمة على تضليل الشعوب فى عقائدها وإذلالها فى كرامتها وتسخيرها للأهواء والمغانم الخسيسة ، وقذفها فى أتون الحروب التى كانت تثيرها رغبات الفتح والتوسع فى نفوس الملوك والقواد ، ورأى الناس فى ظلال الإسلام كرامة للفرد ، واحتراماً للعقيدة وتحريراً للعقل وقضاء على الأوهام والأضاليل والشعوذة والتدجيل فأقبلوا عليه يدخلون فيه أفواجاً ؛ لقد كانت قوة الإسلام السياسية والعسكرية غالبة قاضية لم تبق لدى أولئك الزعماء والأمراء والقواد أملاً ما فى استعادة سلطانهم الزائل ومجدهم المنهار ، فلم يجدوا أمامهم مجالاً للانتقام من الإسلام إلا إفساد عقائده ، وتشويه محاسنه ، وتفريق صفوف أتباعه وجنوده .

ثالثاً — العصبية للجنس والقبيلة واللغة والبلد والإمام :

كما وضع الشعوبيون حديث : « إن الله إذا غضب أنزل الوحى بالعربية ، وإذا رضى أنزل الوحى بالفارسية » فقابلهم جهلة العرب بالمثل

فقالوا : « إن الله إذا غضب أنزل الوحى بالفارسية وإذا رضى أنزل الوحى بالعربية » وكما وضع المتعصبون لأبى حنيفة حديث « سيَكونُ رَجلٌ فى أمّتى يُقالُ له : أبو حنيفة النعمانُ هو سِراجُ أمّتى » ووضع المتعصبون لبعض المذاهب : « سيَكونُ فى أمّتى رَجلٌ يقال لهُ محمدُ بنُ إدريسٍ هو أضرّ على أمّتى من إبليس » (١) .

ومثل ذلك يقال فى الأحاديث الموضوعة فى فضائل بعض البلدان والقبائل والأزمنة ؛ وقد بينها العلماء وميزوها من الأحاديث الصحيحة فى هذا الموضوع .

رابعاً — القصص والوعظ :

فقد تولى مهمة الوعظ فى بعض الأزمنة والأماكن قُصاص لا يخافون الله ، ولا يهمهم إلا أن يبكى الناس فى مجالسهم ، وأن يتواجدوا وأن يعجبوا بما يقولون . فكانوا يضعون القصص المكذوبة وينسبوها إلى النبى ﷺ . ولبعضهم جرأة على الكذب ووقاحة فيه ، فقد صلى أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين فى مسجد الرصافة فقام بين أيديهم قاصّ فقال : حدثنا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين عن عبد الرزاق عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « منْ قال لا إله إلا اللهَ خَلَقَ اللهُ مِنْ كلّ كلمةٍ طيراً منقارُه مِنْ ذهبٍ وريشُهُ مِنْ مَرْجانٍ » واستمر يذكر فيه ما يملأ عشرين ورقة ؛ فجعل أحمد ينظر إلى يحيى ويحيى ينظر إلى أحمد ، وكل منهما يقول لصاحبه : أنت حدثت بهذا ؟ فيقول :

---

(١) انظر تحقيق القول فى وضع هذا الحديث وواضعه ، ومن روج له من المتعصبة فى كتاب « التنكيل بما فى تأنيب زاهد الكوثرى من الأباطيل » (١ : ١٩ — ٢١ ، ٤٤٦ — ٤٤٨) تأليف العلامة عبد الرحمن المعلمى اليمانى ، وتحقيق الألبانى .

لا . . فلما انتهى أشار له يحيى وقال : من حدثك بهذا ؟ قال: أحمد ابن حنبل ويحيى بن معين . قال :أنا يحيى ولم أحدثك بهذا .قال الرجل : ما أشد حماقتك..أما فى الدنيا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غير كما؟

وقد ساعد جهل العامة وغفلة الحكام عن انتشار هذا الباطل ، فقد كانت الجماهير تتأثر بهم ، وتنقاد لهم ، وتنقل آثارهم ، أكثر من انقيادها لأهل الحق ، بل ربما ثاروا على أهل الحق وعاقبوهم انتصاراً لهؤلاء .

خامساً ــ الخلافات الفقهية والكلامية :

فقد نزع الجهال والفسقة من أتباع المذاهب الفقهية والكلامية إلى تأييد مذاهبهم بأحاديث مكذوبة ، من ذلك قولهم : « مَنْ رَفَعَ يَدَيهِ فى الصّلاةِ فَلا صلاةَ لهُ » وقولهم :« أَمّنى جبريلُ عندَ الكعبةِ فجهَرَ بِـ « بسْمِ اللهِ الرحمَنِ الرَحيمِ ». . إلى آخر ذلك مما لا أصل له ــ والتحزب دائماً يجر صاحبه إلى الانتصار لرأيه ولو بالباطل .

سادساً ــ الجهل بالدين مع الرغبة فى الخير :

وهذا ما فعله كثير من الزهاد والعباد والصالحين ، فقد كانوا يحتسبون وضعهم للأحاديث فى الترغيب والترهيب ، ظناً منهم أنهم يتقربون إلى الله ويخدمون الإسلام ، ولما أنكر العلماء عليهم ذلك وذكروهم بقول الرسول :« مَنْ كَذَبَ عَلَىّ مُتَعمّدًا فلْيَتَبَوأ مَقعَدهُ مِنَ النّارِ» قال بعضهم: « نحن نكذب له ﷺ ولا نكذب عليه » ــ وواضح أنه تهريب سخيف ؛ دفع إليه الجهل بالدين وغلبة الهوى والغفلة . . . ومن هؤلاء غلام خليل وقد كان زاهداً منقطعاً إلى العبادة ؛ محبوباً من العامة ، وقد أغلقت

بغداد كلها أسواقها يوم وفاته — مع أنه وضع الكثير من أحاديث ترقيق القلوب واعترف بذلك قائلاً : « وضعناها لترقق قلوب العامة » ومنهم نوح ابن أبي مريم الذى وضع أحاديث لا أصل لها فى فضائل سور القرآن سورة سورة ، واعترف بذلك .

سابعاً — التقرب للملوك والأمراء بما يوافق هواهم :

ومن أمثلة ذلك ما فعله غياث بن إبراهيم إذ دخل على المهدى وهو يلعب بالحمام فروى له الحديث المشهور : « لا سَبْقَ إلا فى خف ، أو نصلٍ أو حافرٍ » فزاد فيه « أو جناحٍ » إرضاء للمهدى ، فمنحه المهدى عشرة آلاف درهم ، ولكنه قال بعد أن ولى : « أشهد أن قفاك قفا كذّاب». وأمر بذبح الحمام .

وهناك أسباب أخرى للوضع كالرغبة فى الإتيان بغريب الحديث من متن وإسناد ، والانتصار للفتيا ، والانتقام من فئة معينة ؛ والترويج لنوع من الأطعمة أو الطيب أو الثياب ، وقد توسع العلماء فى ذكرها وحصروها .

* * *

ونتيجة لما ذكرناه من بواعث الوضع ، نذكر فيما يلى أشهر أصناف الوضاعين هم :

١ — الزنادقة الخارجون على الدين .

٢ — أرباب الأهواء والبدع والخرافات .

٣ — الشعوبيون والمتعصبون للجنس والبلد .

٤ — المتعصبون للأئمة والمذاهب المختلفة .

٥ — القصاص والوعاظ المرتزقون .

٦ — الزهاد والمغفلون من الصالحين .

٧ ـ المتملقون للملوك والحكام .

٨ ـ المنافقون المنتحلون للعلم عن غير حقيقة .

ولا ينبغى لنا أن ندهش لحصول ذلك فى تاريخ الإسلام . . . فهو أمر يتمشى مع طبائع البشر وضعف النفوس . . . ولعله يقابل فى أيامنا هذه ما نراه من فعل كثير من الصحفيين والمذيعين الذين يكذب أحدهم الكذبة فتبلغ المشرق والمغرب ويصدقها الناس ، ويحلفون عليها، والذين قالوها يعلمون أنهم كانوا كاذبين .

هكذا أهل الدنيا منذ خلقهم الله. منهم الصالحون ومنهم دون ذلك .

* * *

(هـ) جهود علماء المسلمين لحفظ الحديث

لا مراء فى أن الجهد الذى بذله علماء الإسلام منذ عهد الصحابة إلى أن تم تدوين السنة ـ يعتبر جهداً رائعاً لا مزيد عليه (١) .

وإن الطرق التى سلكوها هى أقوم الطرق العلمية للنقد والتمحيص ، حتى إننا لنستطيع الجزم ، بأنهم أول من وضع أصول البحث العلمى الدقيق للأخبار والمرويات لأمم الأرض أجمعين .

وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

وإليك بيان الخطوات التى سلكوها حتى أنقذوا السنة من الكيد ونظفوها مما أريد إلحاقه بها من أوحال :

---

(١) انظر كتاب « السنة » للشيخ الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله . فإنه جامع فى بيان ذلك ، وقد استفدت منه كثيراً فى هذه المقدمة .

أولا — إسناد الحديث :

لم يكن صحابه رسول الله ﷺ بعد وفاته يشك بعضهم فى بعض،ولم يكن التابعون يتوقفون عن قبول أى حديث يرويه صحابى عن رسول الله ، حتى وقعت الفتنة ، وقام اليهودى الخاسر « عبد الله بن سبأ » بدعوته الآثمة التى بناها على فكرة التشيع الغالى القائل بألوهية على رضى الله عنه ، وأخذ الدس على السنة يربو عصراً بعد عصر ، عندئذ بدأ العلماء من الصحابة والتابعين يتحرون فى نقل الأحاديث ولا يقباون منها إلا ما عرفوا طريقه ورواته ، واطمأنوا إلى ثقتهم وعدالتهم . يقول ابن سيرين فيما يرويه عنه الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه : « لم يكونوا يسألون عن الاسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا: سمّوا لنا رجالكم . فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم ، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم » .

ثانياً — التوثق من الأحاديث :

وذلك بالرجوع إلى الصحابة والتابعين ، وأئمة هذا الفن ، فلقد كان من عناية الله بسنة نبيه ، أن مد فى أعمار عدد من أقطاب الصحابة وفقهائهم ، ليكونوا مرجعاً يهتدى الناس بدينهم ، فلما وقع الكذب لجأ الناس إلى هؤلاء الصحابة يسألونهم ما عندهم أولاً ، ويستفتونهم فيما يسمعونه من أحاديث وآثار .

ثالثاً — نقد الرواة وبيان حالهم من صدق أو كذب :

وهذا باب عظيم وصل منه العلماء إلى الصحيح من المكذوب ، والقوى من الضعيف ، وقد أبلوا فيه بلاء حسناً ، وتتبعوا الرواة ودرسوا حياتهم وتاريخهم وسيرتهم ، وما خفى من أمرهم وما ظهر ، ولم تأخذهم فى الله

لومة لائم ، ولا منعهم عن تجريح الرواة ولا التشهير بهم تورع ولا حرج ؛ قيل ليحيى بن سعيد القطان : « أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله يوم القيامة ؟ فقال : لأن يكون هؤلاء خصمى أحب إلى من أن يكون خصمى رسول الله ﷺ يقول : « لِمَ لم تَذُبّ الكذبَ عَنْ حديثى » ؟ .

وقد وضعوا لذلك قواعد ساروا عليها فيمن يؤخذ منه ومن لا يؤخذ ، ومن يكتب عنه ومن لا يكتب . . . ومن أصناف المتركين الذين لا يؤخذ حديثهم :

١ — **الكذابون على رسول الله ﷺ** : وقد أجمع أهل العلم على أنه لا يؤخذ حديث من كذب على النبى ﷺ ، كما أجمعوا على أنه من أكبر الكبائر .

٢ — **الكذابون فى أحاديثهم العامة** : ولو لم يكذبوا على رسول الله ﷺ . وقد اتفقوا على أن من عرف عنه الكذب ولو مرة واحدة ترك حديثه ، قال مالك رحمه الله : « لا يؤخذ العلم عن أربعة : رجل معلن بالسفة وإن كان أروى الناس : ورجل يكذب فى أحاديث الناس ؛ وإن كنت لا أتهمه أن يكذب على رسول الله ﷺ ، وصاحب هوى يدعو الناس إلى هواه ؛ وشيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما ما يحدّث به » .

٣ — **أصحاب البدع والأهواء** : وكذلك اتفقوا على أنه لا يقبل حديث صاحب البدعة إذا كفر ببدعته ، وكذا إذا استحل الكذب وإن لم يكفر ببدعته .

٤ — **الزنادقة والفساق والمغفلون** : الذين لا يفهمون ما يحدثون ،

وكل من لا تتوفر فيهم صفات الضبط والعدالة والفهم ، قال الحافظ ابن كثير : « المقبول » الثقة الضابط لما يرويه ، وهو المسلم العاقل البالغ سالماً من أسباب الفسق وخوارم المروءة ، وأن يكون مع ذلك متيقظاً غير مغفل ، حافظاً إن حدث من حفظه ، فاهماً إن حدث عن المعنى ، فإن اختل شرط مما ذكرناه ردت روايته » .

والرواة الذين يتوقف فى قبول روايتهم أصناف ، من أهمهم :

١ — من اختلف فى تجريحه وتعديله .

٢ — من كثر خطؤه وخالف الأئمة الثقاة فى مروياتهم .

٣ — من كثر نسيانه .

٤ — من اختلط فى آخر عمره .

٥ — من ساء حفظه وضعفت ذاكرته .

رابعاً — وضع قواعد عامة لتقسيم الحديث وتمييزه :

وذلك أنهم قسموا الحديث إلى ثلاثة أقسام : صحيح — وحسن — وضعيف : وسيأتى تفصيل ذلك فى باب درجات الحديث من هذه المقدمة.

علامات الوضع فى السند :

وهى كثيرة من أهمها :

١ — **أن يكون راويه كذاباً** معروفاً بالكذب ، ولا يرويه ثقة غيره. وقد عنوا بمعرفة الكذابين وتواريخهم ، وتتبعوا ما كذبوا فيه بحيث لم يفلت منهم أحد .

٢ — **أن يعترف واضعه بالوضع** كما اعترف أبو عصمة نوح ابن أبي مريم بوضع أحاديث فضائل السور (١) .

٣ — **أن يروى الراوى عن شيخ لم يثبت لقياه له** ؛ أو ولد بعد وفاته ؛ أو لم يدخل المكان الذى ادعى سماعه فيه ؛ كما ادعى مأمون ابن أحمد السهروردى أنه سمع من هشام بن عمار ؛ فسأله الحافظ ابن حبان : متى دخلت الشام ؟ قال : سنة خمسين ومائتين . قال ابن حبان : فإن هشاماً الذى تروى عنه مات سنة خمس وأربعين ومائتين .

٤ — **وقد يستفاد الوضع من حال الراوى** وبواعثه النفسية مثل حديث « الهريسة تَشُدّ الظهْرَ » فإن واضعه محمد بن الحجاج النخعى كان يبيع الهريسة ويريد أن يروج لها .

علامات الوضع فى المتن :

أما علامات الوضع فى المتن فهى كثيرة أهمها :

١ — **ركاكة اللفظ** : بحيث يدرك العليم بأسرار البيان العربى أن مثل هذا اللفظ ركيك لا يصدر عن فصيح ولا بليغ فكيف بسيد الفصحاء ﷺ .

٢ — **فساد المعنى** : بأن يكون الحديث مخالفاً لبديهيات العقول من غير أن يمكن تأويله مثل : « إنّ سفينةَ نوح طافَت بالبيتِ سَبْعًا وصلتْ عند المَقامِ رَكْعَتين » أو أن يكون مخالفًا للقواعد العامة فى الحكم والأخلاق مثل : « جورُ التّركْ ولا عَدْلُ العربِ » أو داعيًا إلى الشهوة

(١) ومما يؤسف له أن بعض التفاسير تشتمل على هذه الأحاديث الموضوعة ، وسكت مؤلفها عن بيان ذلك .

والمفسدة مثل:« النَّظَرُ إلى الوجْه الْحَسَنُ يجْلى البَصَرَ » أو مخالفًا للحس والمشاهدة مثل: «لا يُولَد بعد المائة مَوْلُودٌ ، لله فيهِ حاجةً » أو مُخالفًا لقواعد الطب المتفق عليها مثل: « الباذنجان شِفاءٌ مِنْ كلّ داء » أو مخالفًا لما يوجبه العقل لله من تنزيه وكمال ؛ نحو :«إنّ اللهَ خَلَقَ الفَرَسَ فأَجْراها فعَرِقَتْ فَخَلَقَ نَفسَهُ مِنْهَا»أو يكون مخالفًا لقطعيات التاريخ أو سنة الله فى الكون والإنسان مثل حديث «عوج بن عنق»، وأن طوله ثلاثة آلاف ذراع ، وأن نوحًا لما خوّفه بالغرق قال : احملنى على قصعتك هذه (يعنى السفينة) وإن الطوفان لم يصل إلى كعبه وإنه كان يدخل يده فى البحر فيلتقط السمكة من قاعه ويشويها قرب الشمس ! ومن ذلك حديث «رتق الهندى» وأنه عاش ستمائة سنة وأدرك النبى ﷺ . أو أن يكون مشتملا على سخافات وسماجات يصان عنها العقل مثل : « الديكُ الأَبْيَضُ حَبيبى وحَبيبُ حَبيبى جبْرِيلَ » ومثل :« اتّخذوا الحمَامَ المَقاصيصَ فإنّها تلهى الجنّ عَنْ صِبْيانِكُم » وهكذا كل ما يرده العقل بداهة فهو باطل مردود قال ابن الجوزى :ما أحسن قول القائل : «كل حديث رأيته تخالفه العقول وتناقضه الأصول وتباينه النقول فاعلم أنه موضوع » وقال فى المحصول :« كل خبر أوهم باطلاً ولم يقبل التأويل فمكذوب » (١) .

٣ - **مخالفته لصريح القرآن :** بحيث لا يقبل التأويل مثل : «ولَدُ الزّنا لا يَدخُلُ الجَنّة إلى سَبْعةِ أبناء» فإنه مخالف لقوله تعالى : « ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى »(٢) بل هو مأخوذ من التوارة ففيها

---

(١) وذلك فيما عدا المعجزات وهى خوارق للعادات - معروفة ومحدودة .

(٢) الأنعام : ١٦٤ . الإسراء : ١٥ . فاطر : ١٨ . الزمر : ٧ .

مايشبه ذلك ، ومثل ذلك أن **يكون مخالفاً لصريح السنة** المتواترة مثل «إذا حُدِّثْتُم عنى بحديثٍ يوافِقُ الحق فَخُذوا به حَدَّثت أَوْ لمْ أُحَدِّثْ» فإنه مخالف للحديث المتواتر « مَنْ كَذبَ علىّ مُتَعَمِّدًا فلْيَتَبَوَّأْ مَقعَدَهُ مِن النارِ ». **أو يكون مخالفاً للقواعد العامة** المأخوذة من القرآن والسنة مثل « مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فسمّاه محمدًا كانَ هُو ومَوْلُودُهُ فى الجَنّةِ » ومثل « آلَيتُ على نفسى أَنْ لا أُدخلَ النارَ مَنْ اسمه محمدٌ أَو أَحمد » فإن هذا مخالف للمحكوم المقطوع به من أَحكام القرآن والسنة من أَن النجاة بالأَعمال الصالحة لا بالأَسماء والأَلقاب ، أَو أَن يكون مخالفًا للإجماع مثل : « من قَضَى صلوات من الفرائض فى آخرِ جُمعَةٍ مِنْ رَمضانَ كان ذلك جابِرًا لكلّ صلاةٍ فاتَتْهُ فى عُمْرِه إلى سَبعينَ سَنَةً » . فإن هذا مخالف لما أَجمع عليه الفقهاء من أَن الفائتة لا يقوم مقامها شىء من العبادات.

٤ — **مخالفته لحقائق التاريخ المعروفة** فى عصر النبى ﷺ ، مثل حديث : « إنَّ النبىّ وَضَعَ الجزيةَ على أَهلِ خيبرَ ورَفَعَ عنهم الكلفةَ والسخرةَ بشهادةِ سعد بن معاذ ومعاوية بن أَبى سفيان » مع أَن الثابت فى التاريخ أَن الجزية لم تكن معروفة ولا مشروعة فى عام خيبر ، وإنما نزلت آية الجزية بعد عام تبوك ، وأَن سعد بن معاذ توفى قبل ذلك فى غزوة الخندق وأَن معاوية إنما أَسلم زمن الفتح ، فحقائق التاريخ ترد هذا الحديث وتحكم عليه بالوضع ،ومن أَمثلة ذلك حديث أَنس : « دَخَلْتُ الحمَّامَ فرأَيتُ رسولَ الله جالسًا وعليهِ مِئْزَرٌ فهمَمْتُ أَن أُكَلِّمهُ فقالَ : يا أَنس إنَّما حَرَّمتُ دخولَ الحَمَّامِ بغيرِ مِئْزَرٍ من أَجل هذا » مع أَن الثابت تاريخيًا أَن الرسول لم يدخل حمامًا قط ، إذ لم تكن الحمامات معروفة فى الحجاز فى عصره .

٥ — **موافقة الحديث لمذهب الراوى :** إذا كان الراوى متعصبًا مغاليًا فى تعصبه كأن يروى رافضى حديثًا فى فضائل أهل البيت أو مرجىء حديثًا فى الإرجاء كالذى رواه حبّة بن جوين قال : سمعت عليًّا رضى الله عنه قال : « عَبَدْتُ اللهَ مَعَ رَسُولِهِ قبلَ أَنْ يَعبدَهُ أَحدٌ مِنْ هذِهِ الأُمةِ خَمسَ سِنينَ أَو سَبْع سنينَ » . قال ابن حبان : كان حبة غاليًا فى التشيُّع واهيًا فى الحديث .

٦ — **أن يتضمن الحديث أمراً من شأنه أن تتوفر الدواعى على نقله لأنه وقع بمشهد عظيم ثم لا يشتهر ، ولا يرويه إلا واحد ،** وبهذا حكم أهل السنة على حديث « غدير خم » بالوضع والكذب ، قال العلماء : إن من أمارات الوضع فى هذا الحديث أن يصرح بوقوعه على مشهد من الصحابة جميعًا ثم يحدث بعد ذلك أن يتفقوا جميعًا على كتمانه ؛ حين استخلاف أبى بكر رضى الله عنه ومثل هذا بعيد ومستحيل فى العادة والواقع ، فانفراد الرافضة بنقل هذا الحديث دون جماهير المسلمين دليل على كذبهم فيه . قال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ومن هذا الباب نقل النص على خلافة علىّ فإنا نعلم أنه كذب من طرق كثيرة ، فإن هذا النص لم يبلغه أحد بإسناد صحيح فضلاً عن أن يكون متواتراً ولا نقل أن أحداً ذكره على جهة الخفاء مع تنازع الناس من الخلافة وتشاورهم فيها يوم السقيفة ، وحين موت عمر وحين جعل الأمر شورى بينهم فى ستة ، ثم قتل عثمان واختلف الناس على علىٍّ فمن المعلوم أن مثل هذا النص لو كان كما تقوله الرافضة من أنه نص على علىّ ، نصاً جليًا قاطعًا للعذر وعلمه المسلمون ، لكان من المعلوم بالضرورة أنه لابد أن ينقله الناس نقل مثله وأنه لابد أن يذكره كثير من الناس

بل أكثرهم فى مثل هذه المواطن التى تتوافر الهمم على ذكره فيها غاية التوفر ، فانتفاء ما يعلم أنه لازم يقتضى انتفاء ما يعلم أنه ملزوم » .

٧ — **اشتمال الحديث على إفراط فى الثواب العظيم على الفعل الصغير والمبالغة بالوعيد الشديد على الأمر الحقير** ، وقد أكثر القصاص من مثل هذا النوع ترقيقًا لقلوب الناس وإثارة لاجتهادهم مثل « مَنْ صَلَّى الضُّحى كذا وكذا رَكعَةً أُعْطِى ثوابَ سبعينَ نَبِيًّا » . ومثل « مَنْ قالَ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ خَلَقَ اللهُ لَهُ طائرًا لَهُ سَبعون أَلْفِ لسانٍ لكلّ لسانٍ سبعونَ أَلْفِ لُغةٍ يستغفرون لَهُ » .

هذه هى أهم القواعد التى وضعها العلماء لنقد الحديث ومعرفة صحيحه من موضوعه ، ومنه نرى أنهم لم يقتصروا فى جهدهم على نقد السند فقط أو يوجهوا جل عنايتهم إليه دون المتن كما سيأتى فى زعم بعض المستشرقين ومشايعيهم ، بل كان نقدهم منصبًّا على السند والمتن على السواء ، ولقد رأيت كيف جعلوا أمارات الوضع ، أربعًا منها فى السند ، وسبعًا منها فى المتن ولم يكتفوا بهذا ، بل جعلوا للذوق الفنى مجالًا فى نقد الأحاديث وردها أو قبولها ؛ فكثيراً ما ردوا أحاديث لمجرد سماعهم لها لأن ملكتهم الفنية لم تستسغها ولم تقبلها ، ومن هذا كثيراً ما يقولون : « هذا الحديث عليه ظلمة ، أو متنه مظلم ، أو ينكره القلب » .

ثمار هذه الجهود :

قال الدكتور مصطفى السباعى رحمه الله فى كتابه « السنة » (ص ١٢١ طبع القاهرة) ما ملخصه :

بتلك الجهود الموفقة التى سردناها عليك بإيجاز استقام أمر الشريعة بتوطيد دعائم السنة التى هى ثانى مصادرها التشريعية ، واطمأن المسلمون

إلى حديث نبيهم فأقصى عنه كل دخيل ، وميزوا بين الصحيح والحسن والضعيف ، وصان الله شرعه من عبث المفسدين ، ودس الدساسين ، وتآمر الزنادقة والشعوبيين وقطف المسلمون ثمار هذه النهضة الجبارة المباركة التى كان من أبرزها ما يلى :

أولا ــ تدوين السنة :

قدمنا أن السنة لم تدوَّن رسميًّا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دُوِّن القرآن ؛ إنما كانت محفوظة فى الصدور نقلها صحابة الرسول إلى من بعدهم من التابعين مشافهة وتلقينًا ، وإن كان عصر النبى لم يخل من تدوين بعض الحديث كما قدمناه لك فى بحث كتابة السنة ، ولقد انقضى عصر الصحابة ولم تدوَّن فيه السنة إلا قليلًا . إنما كانت تتناقلها الألسن ، نعم . . لقد فكر عمر رضى الله عنه بتدوين السنة ولكنه عدل عن ذلك . فقد أخرج البيهقى فى المدخل عن عروة بن الزبير أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن فاستشار فى ذلك أصحاب رسول الله ﷺ فأشاروا عليه أن يكتبها . فطفق عمر يستخير الله فيها شهراً ثم أصبح يومًا وقد عزم الله له فقال : « إنى كنت أردت أن أكتب السنن وإنى ذكرت قومًا كانوا قبلكم كتبوا كتبًا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وإنى ــ والله ــ لا ألبس كتاب الله بشىء أبدًا » .

ثانياً ــ علم مصطلح الحديث :

ومن ثمار هذه الحركة المباركة أن دونت القواعد التى وضعها العلماء أثناء حركتهم لمقاومة الوضع ، والتى قسموا فيها الحديث إلى ما ذكرناه من أقسام ثلاثة وما يتعلق بها ، وبذلك نشأ عندنا علم مصطلح الحديث

الذى يضع القواعد العلمية لتصحيح الأَخبار وهى أَصح ما عرف فى التاريخ من قواعد علمية بالرواية والأَخبار ؛ بل كان علماؤنا رحمهم الله هم أَول من وضع هذه القواعد على أَساس علمى لا مجال بعده للحيطة والتثبت . وقد نَهَجَ على نَهْج علماء الحديث علماء السلف فى الميادين العلمية الأخرى ، كالتاريخ والفقه والتفسير واللغة والأَدب وغيرها فكانت المؤلفات العلمية فى العصور الأولى مسندة بالسند المتصل إلى قائلها فى كل مسأَلة وفى كل بحث حتى أَن كتب العلماء ذاتها تناقلها تلامذتهم منهم بالسند المتصل جيلاً بعد جيل ، فنحن لا نشك فى أَن صحيح البخارى هو المتداول الآن بين المسلمين ؛ أَلفه الإمام البخارى ، لأَنه روى عنه بالسند المتصل جيلًا بعد جيل وهذه ميزة لا توجد فى مؤلفات العلماء من الأُمم الأُخرى ، حتى ولا فى كتبهم المقدسة ، وقد أَلف أَحد علماء التاريخ فى العصر الحاضر كتابًا فى أصول الرواية التاريخية اعتمد فيه على قواعد مصطلح الحديث واعترف بأَنها أَصح طريقة علمية حديثة لتصحيح الأَخبار والروايات .

وعلم مصطلح الحديث يبحث عن تقسيم الخبر إلى صحيح وحسن وضعيف ، وتقسيم كل من هذه الثلاثة إلى أَنواع ، وبيان الشروط المطلوبة فى الراوى والمروى وما يدخل الأَخبار من علل واضطراب وشذوذ وما ترد به الأَخبار وما يتوقف فيه منها إلى أَن تعضد بمقومات أُخرى وبيان كيفية سماع الحديث وتحمُّله وضبطه وآداب المحدث وطالب الحديث وغير ذلك مما كان فى الأَصل بحوثًا متفرقة ، وقواعد قائمة فى نفوس العلماء فى القرون الثلاثة الأُولى ، إلى أَن أفرد بالتأْليف والجمع والترتيب شأْن العلوم الإسلامية الأُخرى فى تطورها وتدرجها .

وقد كان أول من ألف فى بعض بحوثه على بن المدينى شيخ البخارى ، كما تكلم البخارى ومسلم والترمذى فى بعض أبحاثه فى رسائل مجردة لم يضم بعضها إلى بعض .

ثالثاً — علم الجرح والتعديل :

ومن ثمار هذه الجهود المباركة علم الجرح والتعديل ، أو علم ميزان الرجال . وهو علم « يبحث فيه عن أحوال الرواة وأمانتهم وثقتهم وعدالتهم وضبطهم أو عكس ذلك من كذب أو غفلة أو نسيان ، وهو علم جليل من أجل العلوم التى نشأت عن تلك الحركة المباركة ؛ لا نعرف له مثيلًا أيضاً فى تاريخ الأمم الأخرى ، وقد أدى إلى نشأة هذا العلم حرص العلماء على الوقوف على أحوال الرواة ، حتى يميزوا بين الصحيح من غيره ، فكانوا يختبرون بأنفسهم من يعاصرونهم من الرواة ، ويسألون السابقين ممن لم يعاصروهم . . ويعلنون رأيهم فيهم دون تحرج ولا تأثر ، إذ كان ذلك ذبًا عن دين الله وسنة رسوله ﷺ . وقد قيل للبخارى : إن بعض الناس ينقمون عليك التأريخ . يقولون : فيه اغتياب الناس فقال : « إنما روينا ذلك رواية ولم نقله من عند أنفسنا » . لقد قال النبى ﷺ : « بِئْسَ أخو العَشِيرَةِ » وقد ابتدأ الكلام عن الرواة توثيقا وتوهينًا منذ عصر صغار الصحابة كابن عباس (٦٨)(١) ، وعبادة ابن الصامت (٣٤) ، وأنس بن مالك (٩٣) . ثم من التابعين سعيد بن المسيب (٩٣) ، والشعبى (١٠٤) ، وابن سيرين (١١٠) . ثم تتالى الأمر فنظر فى الرجال شعبة (١٦٠) وكان متثبتًا لا يروى إلا عن ثقة ، والإمام

---

(١) أى المتوفى سنة ٦٨ هجرية .

مالك (١٧٩) . ومن أشهر علماء الجرح والتعديل فى هذا القرن الثانى معمر (١٥٣) ، وهشام الدستوائى (١٥٤) ، والأوزاعى (١٥٦) ، والثورى (١٦١) ، وحماد بن سلمة (١٦٧) ، والليث بن سعد (١٧٥) .

ونشأت بعد هؤلاء طبقة أخرى كابن المبارك (١٨١) ، والفزارى(١٨٥)،وابن عيينة (١٩٧)،ووكيع بن الجراح(١٩٧).ومن أشهر علماء هذه الطبقة يحيى بن سعيد القطان (١٨٩) ، وعبد الرحمن بن مهدى (١٩٨) وكانا حجتين موثوقين لدى الجمهور ؛ فمن وثقاه قبلت روايته ، ومن جرّحاه ردت ؛ ومن اختلفا فيه رجع الناس إلى ما ترجح عندهم .

ثم تلاهم طبقة أخرى من أئمة هذا الشأن منهم يزيد بن هارون (٢٠٦) ، وأبو داود الطيالسى (٢٠٤) ، وعبد الرزاق بن همام (١) (٢١١) ، وأبو عاصم النبيل بن مخلد (٢١٢) .

ثم ابتدأ تصنيف الكتب فى الجرح والتعديل ، ومن أوائل الذين ألفوا وتكلموا فى هذه الطبقة يحيى بن معين (٢٣٣) ، وأحمد بن حنبل (٢٤١) ، ومحمد بن سعد كاتب الواقدى وصاحب الطبقات (٢٣٠) ، وعلى بن المدينى (٢٣٤) . ثم تلاهم بعد ذلك البخارى ومسلم . . وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان ؛ وأبو داود السجستانى ؛ وتتابع العلماء بعد ذلك حتى أواخر القرن التاسع الهجرى طبقة بعد طبقة تؤلف وتبحث فى الرجال وتتحرى أمر الرواة حتى لا يعسر عليك أن تجد فى مؤلفاتهم تاريخ أى رجل يمر بك اسمه فى كتب الحديث .

---

(١) ويقوم بطبع مصنفه لأول مرة المجلس العلمى عند المكتب الإسلامى ببيروت.

رابعاً — علوم الحديث :

وثمة علوم أُخرى استلزمتها دارسة السنة وراويتها والدفاع عنها وتحقيق أُصولها ومصادرها . . وقد أَوصلها أَبو عبد الله الحاكم فى كتابه (معرفة علوم الحديث) إلى اثنين وخمسين علماً ، وأَوصلها النووى فى (التقريب) إلى خمسة وستين علماً ، نذكر أَهمها فيما يلى ليتبين مقدار دقة علماء السنة فى نقدها وتحقيقهم فى ضبطها وذأبهم على صيانتها .

١ — **معرفة صدق المحدث** وإتقانه وثبته وصحة أُصوله وما يحتمله سنُّه وحاله من الأَسانيد وغير ذلك ، من غفلته وتهاونه بنفسه وعلمه وأُصوله .

٢ — **معرفة المسانيد** من الأَحاديث : قال الحاكم : وهذا علم كبير ، لاختلاف أَئمة المسلمين فى الاحتجاج بغير المسند ... والمسند من الحديث أَن يرويه المحدث عن شيخ يظهر سماعه منه لمن يحتمله وكذلك سماع شيخه من شيخه إلى أَن يصل الإسناد إلى صحابى مشهور إلى رسول الله ﷺ .

٣ — **معرفة الموقوفات من الآثار** : وذلك مثل الذى أَخرجه الحاكم عن المغيرة بن شعبة قال : كانَ أَصحابُ رسُولِ اللهِ صَلى اللهُ عليه وسلم يَقْرَعُونَ بابَهُ بالأَظافيرِ ، قال الحاكم : هذا حديث يتوهمه من ليس من أَهل الصنعة مسنداً لذكر رسول الله ﷺ وليس بمسند ، فإنه موقوف على صحابى حكى عن أَقرانه من الصحابة فعلًا وليس يسنده واحد منهم .

٤ — **معرفة الصحابة على مراتبهم :** فإنهم — على ما ذكر الحاكم — اثنتا عشرة طبقة أولها من أسلم بمكة وآخرها صبيان وأطفال رأوا رسول الله ﷺ يوم الفتح وفى حجة الوداع وعدُّوهم من الصحابة .

٥ — **معرفة المراسيل** المختلف فى الاحتجاج بها : وهذا نوع من علم الحديث صعب قلما يهتدى إليه إلا المتبحر فى هذا العلم .

٦ — **معرفة المنقطع** من الحديث : وهو غير المرسل ؛ وقلما يوجد فى الحفاظ من يميز بينهما ، ثم ذكر أنه ثلاثة أنواع وضرب لكل نوع مثلًا :

الأول : أن يكون فى السند رجلان مجهولان لم يسمّيا ولم يُعرفا .

الثانى : أن يكون فى إسناده رجل غير مسمى ولكنه عرف من طريق آخر .

الثالث : أن يكون فى الإسناد راوٍ لم يسمع منه الذى يروى عنه الحديث قبل الوصول إلى التابعى الذى هو موضع الإرسال ولا يقال لهذا النوع مرسل إنما يقال له منقطع .

٧ — **معرفة المسلسل من الأسانيد :** فإنه نوع من السماع الظاهر الذى لا غبار عليه وهو أنواع ، فقد يكون التسلسل بلفظ معين عند التحديث فى جميع رجال السند كأن يقولوا جميعًا « حدثنا » أو « سمعته يقول » أو شهدت على فلان أنه قال ، وقد يكون التسلسل لفعل معين يفعله كل شيخ مع تلميذه ، كالحديث المسلسل بالمصافحة ، وهكذا .

٨ — **معرفة الأحاديث المعنعنة :** والتي ليس فيها تدليس ، وهي متصلة بإجماع أئمة النقل على تورع رواتها عن أنواع التدليس ، وذكر الحاكم مثلاً له حديثا عن جابر بن عبد الله ثم قال : هذا حديث رواه مصريون ثم مدنيون ومكيون وليس من مذهبهم التدليس فسواء عندنا ذكروا سماعهم أو لم يذكروه .

٩ — **معرفة المعضل من الروايات :** ما سقط من إسناده اثنان فصاعداً على التتابع ، ومنه ما يرسله تابع التابعي وهو غير المرسل .

١٠ — **معرفة المدرج** في حديث رسول الله ﷺ من كلام الصحابة وتمييز كلام غيره من كلامه ﷺ .

١١ — **معرفة التابعين :** وهذا نوع يشتمل على علوم كثيرة فإنهم على طبقات في الترتيب ، ومهما غفل الإنسان عن هذا العلم لم يفرق بين الصحابة والتابعين ، ثم لم يفرق بين التابعين وأتباع التابعين ، ثم ذكر الحاكم طبقاتهم (وهي خمس عشرة طبقة) أولهم من لحق العشرة الذي شهد لهم رسول الله ﷺ ، كقيس ابن أبي حازم ، وآخرهم من لقي أنس بن مالك من أهل البصرة وعبد الله بن أبي أوفى من أهل الكوفة ، والسائب بن يزيد من أهل المدينة ، وعبد الله بن الحارث بن جزء من أهل مصر ، وأبا أمامة الباهلي من أهل الشام .

١٢ — **معرفة أولاد الصحابة :** فإن من جهل هذا النوع اشتبه عليه كثير من الروايات ، وأول ما يلزم المحدث معرفته من ذلك أحوال سيد البشر ﷺ وأحوال أضحابه ومن صحت الرواية عنه منهم ، ثم بعد هذا معرفة أولاد كبار الصحابة وغيرهم ، ثم معرفة أولاد

التابعين وأتباع التابعين وغيرهم من أئمة المسلمين ، فإن هذا علم كبير ونوع بذاته من أنوع الحديث .

١٣ — **معرفة علم الجرح والتعديل :** وهما فى الأصل نوعان كل نوع منهما علم برأسه وهو ثمرة هذا العلم والمرقاة الكبيرة منه . وقد تكلم عنه كما تكلم عن أصح الأسانيد وأوهاها .

١٤ — **معرفة الصحيح والسقيم :** وهو غير الجرح والتعديل فربّ إسناد يسلم من المجروحين غير مخرّج فى الصحيح .

١٥ — **معرفة فقه الحديث :** إذ هو ثمرة هذه العلوم وبه قوام الشريعة ، ثم ذكر أسماء عدة من أئمة الحديث أضافوا إلى رواية الحديث الفقه بها كابن شهاب الزهرى وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعى وعبد الله بن المبارك وسفيان بن عيينة وأحمد بن حنبل وكثيرين .

١٦ — **معرفة ناسخ الحديث من منسوخه :** وقد ذكر أمثلة كثيرة لأحاديث منسوخة وأخرى ناسخة .

١٧ — **معرفة المشهور من الأحاديث** المروية عن رسول الله ﷺ قال الحاكم : والمشهور من الحديث غير الصحيح ، فرب حديث مشهور لم يخرج فى الصحيح ، وضرب لذلك أمثلة .

١٨ — **معرفة الغريب من الحديث :** وهو أنواع : فنوع منه غرائب الصحيح وهو ما يتفرد به راوٍ ثقة ومنه غرائب الشيوخ وذكر لذلك مثلًا حديثا « لا يَبيعُ حاضرٌ لِبادٍ » فقال : هذا حديث غريب لمالك بن أنس عن نافع وهو إمام يجمع حديثه تفرد به

الشافعي وهو إمام مقدم لا نعلم أحدًا حدَّث به عنه غير ربيع ابن سليمان وهو ثقة مأمون .

١٩ — **معرفة الأفراد من الأحاديث** وهو على ثلاثة أنواع :

الأول : معرفة سنة رسول الله : التي يتفرد بها أهل مدينة واحدة عن الصحابي ، كأن يرويه كوفيون من أول السند إلى آخره أو مدنيون وهكذا .

الثاني : أحاديث يتفرد بروايتها رجل واحد عن إمام من الأئمة .

الثالث : أحاديث لأهل المدينة تفرد بها عنهم راوٍ من أهل مكة مثلًا .

٢٠ — **معرفة المدلسين :** الذين لا يميز من كتب عنهم بين ما سمعوه وما لم يسمعوه . وقال الحاكم : وفي التابعين وأتباع التابعين إلى عصرنا هذا جماعة ، ثم ذكر أنواع التدليس وهي ستة ، وذكر لكل نوع أمثلة .

٢١ — **معرفة علل الحديث :** وهو علم قائم برأسه غير الصحيح أو السقيم ، والجرح والتعديل .

٢٢ — **معرفة السنة المتعارضة :** فيحتج بعض المذاهب بإحداها ويحتج غيرهم بالأخرى ، وقد ذكر لذلك أمثلة من أحاديث صحت عن رسول الله ﷺ أنه كان في حجة مُفردًا وأحاديث أخرى صحيحة أنه كان متمتعًا ، وأحاديث أخرى أنه كان قارنًا . فاختار أحمد وابن خزيمة التمتع ، واختار الشافعي الإفراد ، واختار أبو حنيفة القران .

٢٣ — **معرفة الأخبار التى لا معارض لها** بوجه من الوجوه ، وذكر لذلك أمثلة كثيرة .

٢٤ — **معرفة زيادات ألفاظ فقهية** فى أحاديث ينفرد بالزيادة فيها راوٍ واحـد .

٢٥ — **معرفة بعض الرواة :** وقد ذكر الحاكم نصوصاً كثيرة عن أئمة الحديث يذكرون فيها مذاهب بعض الرواة لتحذير الناس منهم .

٢٦ — **معرفة التصحيفات فى المتون :** أى خطأ الإملاء والنقط فى النصوص فقد زلق فيها جماعة من أئمة الحديث وذكر لذلك أمثلة .

٢٧ — **معرفة التصحيفات فى الأسانيد :** وقد ذكر لذلك أمثلة كثيرة .

* * *

(و) درجات الحديث

صحيح . حسن . ضعيف

فالصحيح : هو ما اتصل سنده براويه العدل الضابط عن مثله إلى منتهاه ؛ وسلم من الشذوذ والعلة (١) . (ويسمى الصحيح لذاته) .

وثمة نوع آخر منه (ويسمى الصحيح لغيره) وهو الذى جاء

---

(١) العـــدل : هو الرجل المسلم الصالح للذى لا تعرف منه معصية .
الضابط : هو الرجل المسلم الحافظ الذى لا يخطىء فى رواية الحديث إلا نادراً .
الشذوذ : هو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه ... أو لمن هم أكثر منه عدداً .
العـــلة : هى كل سبب يقدح فى ثبوت الحديث .
ولا يتمكن من معرفة العلة ومن الشذوذ إلا المتمكنون فى هذا العلم الشريف الجامعون لألفاظ الحديث وطرقـــه .

بإسناد حسن وآخر ضعيف لم يشتد ضعفه فيرتقى الحديث بمجموعهما إلى درجة الصحيح لغيره . . . أى بسبب مساندة الإسناد الضعيف للإسناد الحسن .

❋ ❋ ❋

ولم يستوعب الصحيح من الحديث فى كتاب واحد مطلقاً ؛ وإنما جمعت الكتب الستة جملة كبيرة منها : — صحيح البخارى وصحيح مسلم . وسنن أبى دواد والنسائى وجامع الترمذى وسنن ابن ماجه — وفاتها غير قليل منه ، ويوجد مبثوثاً فى كتب المسانيد والفوائد والأجزاء الحديثية وكتب الحديث الكثيرة الأخرى .

❋ ❋ ❋

والحسن : تعريفه تعريف الصحيح لذاته... إلا أن أحد رواته خف حفظه عن حفظ العدل الضابط...(وهذا يسمى الحسن لذاته). وثمة نوع آخر منه . . . (ويسمى بالحسن لغيره) .

وهو الذى يأتى من طرق متعددة ، فى مفرداتها ضعف يسير : فيرتقى الحديث بها لدرجة الحسن لغيره بل وإلى درجة الصحيح لغيره أحياناً وذلك إذا كثرت أسانيده .

❋ ❋ ❋

وهو حجة عند أهل العلم ؛ كالصحيح ، إلا أنه يصبح مرجوحاً عند التعارض مع الصحيح ؛ ويرجح الصحيح عليه .

❋ ❋ ❋

والضعيف : هو الذى لم تتوفر فيه شروط الصحيح ولا الحسن .

وأنواعه ثلاثة ضعيف ، وضعيف جداً ، وموضوع .

* * *

ألقاب تشمل الصحيح والحسن

الجيد والقوى والمقبول :

ألفاظ يراد بها تارة الحسن وتارة الصحيح ؛ وإنما تستعمل هذه التعبيرات لتردد نظر الناظر فى الحديث بين كونه حسناً أو صحيحاً .

المعروف : هو ما يقابل المنكر .

المحفوظ : هو ما يقابل الشاذ .

المتواتر : هو ما رواه جمع عن جمع يستحيل فى العادة تواطؤهم على الكذب ، من أول السند إلى منتهاه ... على أن لا يختل هذا الجمع فى طبقة من طبقات السند (١) .

ملاحظة : إذا أردت رواية حديث لا تعرف صحته من ضعفه فلا تقل : قال رسول الله ﷺ كذا (بصيغة الجزم) ، ولكن قل « رُوِى كذا » أو « بلغنا كذا » . . . وعليك عندما لا تتذكر اللفظ بعينه وتروى معناه أن تقول « معنى الحديث » أو « أو كما قال ﷺ » . . الخ .

* * *

(١) انظر كتاب تدريب الراوى للسيوطى .

ألقاب تشمل الصحيح والحسن والضعيف

المسند : ما اتصل سنده من أوله إلى منتهاه مرفوعاً إلى النبي ﷺ.

المتصل : ما اتصل سنده سواء أكان مرفوعاً للرسول أو موقوفاً .

المرفوع : ما أضيف للرسول سواء أكان متصلاً أو منقطعًا .

المعنعن : ما قيل فى سنده عن فلان عن فلان

المؤنن : ما قيل فى سنده حدثنا فلان أن فلانًا (ويعتبر متصلا كالذى قبله إلا إذا كان قائله معروفًا بالتدليس) .

المدرج : كلام للراوى أدرج فى الحديث الشريف ـ كأن يروى ما يشبه الشرح والتوضيح ويتوهم أنه من الحديث .

المشهور : ما له طرق محصورة بأكثر من اثنين وهو المستفيض عند بعضهم وقد يطلق على ما اشتهر على الألسنة فيشمل ما له إسناد واحد بل وما ليس له إسناد أصلاً .

الغريب : ما رواه راوٍ واحد منفردًا ـ أو أنه انفرد بزيادة فى متنه أو إسناده .

المصحّف : ما وقع فى إسناده أو متنه تصحيف (وهو خطأ الإملاء) .

المسلسل : ما تتابع رجال إسناده على حالة واحدة كأن يقولوا جميعًا « حدثنا » أو « سمعت » .

العالى : هو الإسناد الذى يقرب به الراوى من رسول الله ﷺ مع اتصال الإسناد .

النازل : هو الإسناد الذى يبتعد به الراوى عن الرسول بكثرة عدد الرواة بينه وبين الرسول .

وهناك أصناف أخرى أضربنا عن ذكرها رغبة فى الاختصار .

المرسل : هو ما رفعه التابعى إلى الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير ، وهو غير حجة عند المحدثين إلا إذا عضده غيره.

ألقاب تشمل الضعيف

الموضوع : هو المكذوب المختلق على الرسول ﷺ وهو مرفوض مطلقاً.

المقلوب : ما تبدل فيه راوٍ بآخر من طبقته أو ركب إسناد متنه على متن آخر ويسمى أيضًا : المركب . وقد يكون القلب فى المتن كقول الراوى « وليضع ركبتيه قبل يديه » والصحيح « يديه قبل ركبتيه » . — عند السجود —

الشاذ : ما رواه الراوى المقبول مخالفا لرواية من هو أحفظ منه أو من هم أكثر عدداً .

المنكر : ما تفرد به الراوى الضعيف .

المعلل : ما كان ظاهره السلامة وعُرفت فيه علة بعد التفتيش .

المضطرب : هو الذى يروى بأوجه مختلفة متقاربة بحيث لا يمكن ترجيح بعضها على بعض .

الموقوف : هو المروى عن الصحابة قولا لهم أو فعلا لهم (لا عن رسول الله ﷺ) .

المقطوع : هو ما كان من قول التابعين أو مَن دونهم .

المعضل : هو ما سقط من إسناده اثنان فأكثر على التوالى .

المتروك : هو ما يتوهم متهمٌ بالكذب ولا يُعرف إلا من جهته .

المنقطع : هو ما لم يتصل إسناده ؛ سواء سقط منه صحابي أو غيره ، أو فيه راوٍ لم يثبت سماعه ممن يروى عنهم .

المدلَّس : هو أن يروى الراوى عمن عاصره ولم يلقه أو عمن لقيه — ولم يسمع منه — على وجه يوهم سماعه .

* * *

الأعاصير فى وجه السنة :

إذا انتهينا من مراحل تحقيق صحة الحديث الشريف على ضوء المناهج المتقدم ذكرها والتى أفنى علماء المسلمين أعمارهم فى دراستها وتمحيصها .

ومن ذلك دراسة متن الحديث (أى نصه وألفاظه) . ودراسة سند الحديث (أى طريقة رفعه إلى النبى ﷺ) . ودراسة رجال الحديث (أى أحوال رواته ومن تولوا نقله إلى الأجيال التالية) .

إذا انتهى الأمر من كل تلك المراحل المعقدة وثبتت صحة الحديث ونفيت عنه العلل والجهالة والخلط والنسيان ونحوه . فقد تواجه هذا الحديث عقبات شتى تضعف فاعليته أو تقضي عليها .

فمن ذلك :

- **رفض التصديق** . بعد كل تلك الجهود . . . دون أى دليل وهذا ما يفعله المعاندون وهو من الزندقة .
- **رفض السنة أصلا** . . كالذى يقول « نؤمن بفعل النبى دون قوله » أو الذى يقول « نؤمن بالقرآن دون الحديث » وهذا من الكفر الصريح لأنه ينطوى على تكذيب القرآن نفسه .

● **رفض الرواة** . . لخصومة تاريخية حصلت فى زمن الفتنة بعد مقتل عثمان . . فقد قسمت بعض الفرق الرافضة رجال الحديث من الصحابة إلى قسمين : قسم اعتبرتهم من العدول وهم الذين ناصروا عليًا . . وقسم اعتبرتهم من غير المسلمين وهم الذين لم يفعلوا ذلك .

● **رفض حجية المنقول كله** . . وهؤلاء من المتشدقين وتلاميذهم من المرتدين الذين لا يؤمنون بالغيب ولا يقيمون الصلاة ، فقوله تعالى « وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ »(١) يدخل فى ذلك إنكار القرآن والسنة والبعث والنشور .

وأصحاب تلك المذاهب لا يعلنون تلك الآراء صراحة . . . وإنما يتسترون وراء أشياء أخرى كمحبة آل البيت . . وكالبحث العلمى — وكالترقى والتطور وأحيانا يلجأون للطعن فى أم المؤمنين عائشة (رضى الله عنها) والطعن فى أحاديث أبى هريرة كلها — وفى شخص أبى بكر وعمر ابن الخطاب وعثمان وأمثالهم من كبار الصحابة..أو فى شخص البخارى ومسلم أو فى تدوين السنة ذاتها إلى غير ذلك من الحيل .

ولكن أهل العلم لا يبالون بكل ذلك ويذكرون قول الله تعالى لنبيه عليه السلام «قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ، وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (٢) .

* * *

(١) هـود : ١٩ ، يوسف : ٣٧ . (٢) الأنعام : ١٦١ .

على أن الذين أنكروا ثلاثة أرباع الأحاديث الصحيحة قاموا بوضع مثلها من عند أنفسهم افتراء على رسول الله ، أو تلصيقًا ببعض أئمتهم وهم منها براء ، أو إرسالها منقطعة لاتصل لمقام الرسول بل تقف عند جعفر الصادق أو الحسين بن على فقط ، وهذا مرفوض عند علماء المسلمين . . فلا يؤخذ الدين إلا عن الله ورسوله .

* * *

بين الفقه والحديث :

يقول علماء الحديث إنه إذا صح الحديث الشريف وجب الأخذ به ، وأن للحديث حجيَّة القرآن فى وجوب العمل به .

وهذا الكلام حق . . . لكن له تفصيلا يجب الانتباه إليه .

فلا يستطيع كل تلميذ وكل عامى وكل طالب علم أن يميز بين الناسخ والمنسوخ ولا بين ما فيه شبهة التعارض ولا بين الحديث والقرآن الكريم . . . وكذلك فإنَّ القاعدة السابقة ينبغى أن تُؤخذ بتحفظ شديد.

ومن أجل ذلك قام فقهاء الإسلام ـ منذ العصر الأول ـ يجتهدون فى تحرير الأحكام من دراسة الحديث الواحد مقارنًا بأشباهه ونظائره فى الحكم . ومقارنًا بأحكام القرآن الكريم ، ومفسرًا على ضوء أقضية النبى ﷺ وفعله ، وأقضية الصحابة والتابعين واعتبارات شتى لا مجال لتفصيلها ـ ذلك هو علم الفقه .

وليس من العدل إذن ولا من العقل أن نتجاهل هذا التراث الهائل الكريم ونتسرع فى استنباط الحكم الشرعى لمجرد التقاط أى حديث نراه صحيحًا أو نظنه حجة وحده

وبهذه الهمم العالية والمناهج الدقيقة حفظ الله سنة نبيه ﷺ وقد ورثنا نحن من ذلك ثروة هائلة لا يقل ما دوِّن منها فى اللغة العربية وحدها عن خمسماية مجلد . . . وصار علم الحديث علمًا قائمًا بذاته ؛ له فى كل عصر قوم متخصصون؛فسقطت بذلك حجة القائلين بأن الحديث النبوى قد اختلط — إنما هو الانعزال عن دراسة السنة ؛ أو الكسل عن تناول مراجعها— وصدق الله إذ يقول : « الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ، وإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الحَقَ وهُمْ يَعْلَمُون ✻ الحقُّ مِنْ رَبِّكَ ؛ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ » (١) .

أيها القارىء الكريم . .

على ضوء هذا العلم الشريف جرينا فى هذا الكتاب.

فرجعنا إلى أكثر من أربعين مجلدًا فى علم الحديث الشريف وأنتقينا لك ما ثبت إسناده واستقام متنه ؛ وأرحناك من مئات — إن لم نقل آلاف — الأحاديث الضعيفة ، فخذها شاكراً لله تعالى . . . وداعيًا لإخوانك بالخير — والله حسبنا ونعم الوكيل

✻ ✻ ✻

(١) البقـرة : ١٤٦ ، ١٤٧ .